شكسبير

اجتمع لدينا مقالان عن شكسبير كلاهما نقد تحليلي . أما الأول ففي آراء شكسبير السياسية منقولا عن الأستاذ كارلو فورميتشي الايطالي ، والآخر تحليل لشكسبير في رواية يوليوس قيصر . ففضلنا أن لانفصل بينهما وأن نجعلهما كلا يحوي جزأين.

آراء شكسبير السياسية

« ترجمة المحاضرة التي ألقاها الأستاذ
كارلو فورميتشي بجامعة روما لمناسبة
الحفلات التذكارية للعيد المئوي لشكسبير »

حين أراد « بن جونسون » Ben Johnson - زميل شكسبير وصديقه - أن يحيي ذكرى صديقه دون أن يزهد به . لم يستطع إلا أن يقول « ما كان شكسبير لعصره فقط وأنما كان لجميع العصور » ولم يكن ذلك الكلام بيتاً جميلا من الشعر فقط ، بل أنه يشتمل على حقيقة بالغة : وكانت تلك العبارة نبوءة صادقة ، ذلك لأن القطع التمثيلية التي وضعها شكسبير مايزال ضوؤها ساطعاً يستنير به الانسان ، وستظل كذلك إلى الأبد ؛ وإنها لأعظم ما جادت به انجلترا على الانسانية حتى الآن ؛ بل إنها يجب أن تكون للتاج البريطاني أحسن كفتي ميزان كفتها الأخرى الأمبراطورية الهندية بأسرها ؛ ولقد تخيل توماس كارليل - مفخر الوطنية البريطانية غير مدافع - سؤالا غاية في الطرب واللذة حين زعم أنه لو سئل انجليزي عما قد يرضى النزول عنه أذا اضطر الى ذلك : أهو نسبة امبراطورية الهند إلى انجلترا أم نسبة شكسبير اليها ؛ وحينئذ قلن يسع الانجليزي الذي يلقى عليه مثل هذا السؤال الخيالي إلا أن يجيب « بامبراطورية الهند أو بغير أمبراطورية الهند فنحن لا نستطيع بأي حال أن نعيش بغير شكسبير » ؛ وذلك السؤال وهذا الجواب ، على ما بهما من استحالة وتسلية ، يدلان على المكانة التي تضع فيها الأمة البريطانية شكسبير

« ما كان شكسبير لعصره فقط ، وانما كان لجميع العصور » هل يمكن أن ما يكتبه شخص مايظل حقيقة خالدة أبد الدهر أليس العالم فى تغير مستمر وتقدم مطرد وأعظم علماء الطبيعة أو الرياضيات من اليونانيين القدماء : لاترى أنه ينبغى أن يتلقى العلم على خريجى مدارس هذا العصر وجامعاته وماذا يستطيع شكسبير أن يعلمنا نحن الذين نعلم أكثر مما كان يعلم وهل هناك ، أم هل يمكن أن يكون ثمة حقائق خالدة فى هذا العالم

إن رجل العلم مهما أوتى منه لابد من أن يجىء من أخلافه من يزيده علما ، بينما ميزة الشاعر أو الفنان أنه يستطيع الصعود إلى قمة لايدانيه فيها مدان. تعجب به وتقدسه كل الأجيال التى تأتى من بعده . ذلك لأن الطبيعة الخارجية ، التى هى دائرة أبحاث رجل العلم ، تنكشف شيئاً فشيئاً وقطعة قطعة أمام المفكرين والباحثين فيها . وما العلم فى الواقع إلا حديقة تتوارث ثمارها وتتزايد شجيراتها فى اطراد دائم لايتوقف عن النمو بأى حال

وعلى العكس من ذلك دخائل الأشياء النفسية فى هذا العالم ، لا سيما دخيلة نفس الانسان . فهى وحدة يكشف حقيقتها ويزيح عنها الستار ذلك الرجل العظيم ، نبى الشعر ، وافضل مخلوقات الله طراً ، بل ذلك الذى يزاحم الله نفسه . إن الشعر والفن كليهما يأبى الحصر والتحديد ، ذلك لأنه وحيد نفسه ، مستقل فى نوعه . وشىء كامل بذاته ؛ وهو خالد أبد الدهر ، لأنه يوضح النفس التى لا تعرف التغير

وماذا تقول فى أهواء الناس ؟ إن الشمعة قد حل محلها مصباح الغاز الذى لم يلبث أن تخلى من مكانه لثريات الكهرباء ؛ والسكة الحديدية قد حلت محل عربات البريد ؛ ولن يمضى وقت طويل حتى تحلوها عن مكانها السيارات والطائرات ؛ ومع ذلك فان الحب ، والكراهية ، والطمع ، والخوف ، والحسد ، والجشع ، والبخل والاسراف وما شابه ذلك مازالت جميعها هي هى ، لا تختلف النفس البشرية فى عربة البريد عما هى داخل عربة السكة الحديد ، وليس يفيدها ضوء الكهرباء بأكثر مما إذا كانت تضىء حوالى الجسم الذى يحتويها شمعة ضئيلة ، وإذن فقد تطور كل شىء فى هذا العالم ، ما تقدم منه وما تأخر ، إلا النفس البشرية ، النفس الداخلية مازالت باقية بغير حول.

لقد أفصح لنا شكسبير عن الأهواء الانسانية فأرانا ذلك المحور الثابت الذى يدور حوله العالم منذ نشأته ، وهذا هو السبب فى أنه لم يكن لعصره فقط ، وإنما كان لجميع العصور »

يقول البعض إن إماطة اللثام عن الاهواء البشرية ليس معناه أن الشاعر كان

يرمي الى تعليمنا العدل ويقصد بنا الى الكمال . إن الفضيلة والرذيلة تجدهما ظاهرين ظهورا تاما بعناية وإخلاص متساويين فى جميع مقطوعات شكسبير المسرحية ، ولست تستبين بجلاء ما إذا كان ذلك الشاعر العظيم يميل الى جانب الخير أو ينأى عنه الى جانب الشر ، وهو إنما أراد أن يظهرنا على حقيقة هذا العالم الواقعة دون أن يقول لنا مطلقا ماذا ينبغي أن نكون : فشخصية « ياجو » قد رسمها بنفس الدقة التى رسم بها « هملت » . ولم تكن عنايته باخراج « لادى مكبث » بأقل من عنايته فى اخراج « كورديليا » ، وكما أنه قد يكون معقولا أن نحكم بأن الاقوال التى ينطق بها « فالستاف » أو « تشستون » إنما هي آراء شكسبير الشخصية ، كذلك يكون معقولا أن نستنتج أن كلام « بروسبيرو » او « الملك لير » ماهو إلا آراء شكسبير الشخصية أيضا !

إن الشاعر الاديب يجوز له بل يجب عليه أن يعرب عن شعوره وآرائه وآماله ، ولكن الكاتب (المؤلف) المسرحي على العكس منه يجب عليه أن لا يبدى شيئا من ذلك على الاطلاق . وكلما كان بعيدا عن ابداء شعوره وآرائه وآماله كان أقرب الى الاجادة والكمال

وعلى ذلك يكون من خطل الرأى وتضييع الجهود محاولة معرفة دخيلة نفس الرجل شكسبير وماذا كانت معتقداته وميوله . وما كان يستحسنه أو ما كان يستهجنه من مجرد عرضه لشخصيات متباينة فى قصصه السبعة والثلاثين . ولقد كان الشاعر يميل الى الدعابة على لسان أشخاصه ويلذ له أن يختفى وراءهم لا يكشف عن حقيقة نفسه كأنما هو أعجوبة أو ابو الهول : وجميع قصصه ان لم تكن تخلو من مغزى أدبي فانها على الأقل لا تكترث لذلك المغزى ، بل أنها حقيقة بأن تنسى غرائز الخير والشر على السواء فى جميع قرائه

ومع أن امتناع المؤلف المسرحي عن ابداء رأيه أمر ضرورى ، فان الامتناع التام المطلق غير مرغوب فيه إذ هو خليق بأن يلبس القصة ثوبا كثيفا من القتامة والبرودة . وألذ مافى مقطوعات شكسبير ، الحماس والحرارة اللتان تثاران فى نفوس النظارة والقراء . ومع أن ذلك الحماس وتلك الحرارة لم يجيئا نتيجة استقراء علمي فان ذلك الشاعر العظيم بكشفه لنا عن دخائل النفس البشرية يسوقنا معه الى أن نحب ما يحب وإلى أن نكره ما يكره . بيد أنا يجب أن لا ننسى أن شكسبير إلى جانب

كونه مؤلفا مسرحيا ـ كان شاعرا غزليا كذلك ، وأن له فى هذا الباب مقطوعات عدة وقصيدتين مطولتين : الزهرة : وأدونيس Venus & Adonis ، وخلاصة الخلاصة و Rape of Lucrece ، وفي جميع قصصه المسرحية عندما يكون الموقف موقف هوى نفسى مبرح ، أو نداء من أعماق الضمير مما يحتاج فى وصفه الى غزل خيالى ، فاننا لا ريب واجدون في أمثال تلك المواقف شعاعا أصيلا من دخيلة نفس شكسبير ، فشخصية «شيلوك» لم تخلق في صورة متمسكة بأهداب القانون العام تمسكا حرفيا إلا لكى تستطيع «بورسيا» أن ترد عليه الحجة بتلك الالفاظ السامية الصادقة التى تنم عن حقيقة دخيلة نفس شكسبير وعقيدته التى يدعو اليها ، فنجد شكسبير يتخذ من «بورسيا» واسطة ليذيع رأيه وعقيدته فى صيغة غزلية . فيجعلها تتغنى بالرحمة قائلة :

تتساقط مثل الندى من السماء :

فوق الاديم : بورکت مرتين :

هي حسنة لمن يعطى ، ونعيم لمن يأخذ.

إن عرشها فى قلوب الملوك :

وهى صفة من صفات الله ذاته .

تصبح قوة البشر مثل قوة الله :

حين تمتزج العدالة بالرحمة :

It droppeth as the gentle rain from heaven
Upon the place beneath ; it is twice blessed ,
It blesseth him that gives, andhim that takes..
It is enthroned in the hearts of kings ,
It is an attribute to God himself ,
And earthly power dloth then show likest God's,
When mercy seasons justice .

إن من لا يستمع لنداء شكسبير الصارخ فى هذه الكلمة يكون أصم عزيز شفاؤه.

إن شكسبير يرسم الفكرة مثل النقاش أو المصور الذى يستخدم الظل ليجعل الضوء أكثر وضوحا

وليس بصحيح اذن أنه لا يميل إلى تأييد أى شخص أو أية فكرة ، وانما هو دائما الى جانب الخير ، ويحب للحقيقة العارية ، كريم النفس ، نبيل الخصال ، ونود يحملنا على ان نحب «لير» و« كورديليا » لأنه بدأ بحبهما ، ويدفعنا الى احتقار «نريل» و « ريجان » لأنه بدأ باحتقارهما

شكسبير لا يريدنا إلا ان نفهم أن قيمة الرجل هى عمله ، وأن عمله انما هو نفسه على أن مايجب التسليم به هو أنه ليس من السهل أبدا العثور على حقيقة فكر ذلك الشاعر . مثال ذلك أن أحدا لن يجرؤ على الجزم بحقيقة معتقدات شكسبير الدينية ، أكان حقيقة بعيدا عن الكاثوليكية بقدر ماهو قريب من البروتستانتية هل كان يعتقد بوجود الآله الذى صورته الاديان ويؤمن بخلود الروح ويصدق بوجود جهنم وجنة الحق ان هذه الاسئلة جميعها مازالت اجوبتها تصاغ فى صورة من الشك تجعلها لا تزال عرضة لتكثير من الاخذ والرد

وقد يكون مايحيط بشكسبير من غموض فى تلك الناحية من اكبر البواعث على سرورنا أذ نجد أنفسنا نستطيع معرفة آرائه السياسية معرفة خالية من اى شك غير قابلة لشىء من البحث والجدل . على أن تقدير هذه الآراء ، سواء أكانت جديرة بأن تكون مرشداً ونموذجا يسار عليها ، أو من حيث قيمتها التاريخية ، فهذا امر متروك للتقدير الشخصى لكل باحث فيها

وهذا الضعيف (المحاضر) إذ يضع نصب عينيه ذلك الادراك الشكسبيرى الذى استطاع الوصول الى قاع الحقيقة ، والتنبؤ سلفا بمصائر الامور بمجرد ظهور بوادرها حتى لينطلق حكمه على عصرنا الحاضر ، أقول إن من كانت هذه شيمته ، فانى لاشعر بسعادة فارطة اذ أجلس الى قدمى ذلك المعلم تلميذاً حتى فى آرائه السياسية ، ذلك لأنه « لم يكن لعصره فقط ، وإنما كان لجميع العصور »

لقد أحب شكسبير وطنه انجلترا أكثر من كل ما عداها فى هذا العالم ، وعنده أن الوطنية شعور غرسته الطبيعة فى قلب الانسان وأنها فضيلة يجب أن تتعهد بالاحياء ويستمتع ويفاخر بها ، والواقع أن الشيوعية الدولية لم تلق من شكسبير أى عطف أو ميل رغم أن كثيرا من زملائه من معاصريه كانوا يميلون الى هذا المذهب أمثال ليلى Lyly وجرين Greene وبيل Peele

ويتبين مقدار غرام الشاعر بوطنه فى وصفه له : « تلك الشواطىء الشاحبة ، بيضاء الوجه التى تدفع بقدميها جزر المحيط الزاخر » . وفى موضع آخر « ذلك الحصن ذو الجدران المائية ما يزال آمنا مطمئنا عزيز الجانب على المطامع الاجنبية » (الملك جون الفصل الثانى المنظر الاول) وقد أطلق شكسبير على انجلترا « عدن ثانية ، نصف جنة ، مرتع سعيد للناس ، عالم صغير ، حجر كريم مركب على البحر الفضى ، بقعة مباركة ، أرض النفوس الغالية : الارض العزيزة جد عزيزة عزيزة السمعة فى العالم » (الملك ريتشارد الثانى المنظر الاول من الفصل الثانى) وقال « لاشىء يحملنا على الاسف مادامت انجلترا تعتمد على نفسها مخلصة » (الملك جون الفصل الخامس المنظر السابع) وعند شكسبير أن الرجل « الذى صيغت قوائمه فى انجلترا » هو أفضل الرجال حية ونخوة وبأسا (هنرى الخامس الفصل الثالث المنظر الاول)

على أنه ما فائدة الاكثار من الاستشهادات هنا ! إن جميع أعمال شكسبير مفعمة بالحرارة الوطنية والتفاخر بها . إذ مما لا ريب فيه أن كل أمة حين تستهدف لتهديدات خطيرة من أعداء خارجين ، وحين تواجه مسائل عويصة تتوقف على حلها حياة تلك الامة ووجودها ، يجب أن تطالب بالطاعة التامة العمياء أبناءها الذين يجب عليهم أن ينزلوا لها طائعين مختارين عن حريتهم الشخصية ضحية على مذبح الوطنية : فلن تنال العظمة بغير التضحية . وقد كانت الحاجة الى تلك الطاعة التامة العمياء من الافراد إلى الدولة على أشدها خلال حكم الملكة اليصابات وكانت نتيجة تحقيقها عظمة الامة البريطانية . ولقد ذكر المستر تريفليان فى كتابه الحديث « تاريخ انجلترا » ـ ذلك الكتاب القيم حقا ـ « لقد اضطر التاج (البريطانى) الى اللجوء إلى وسائل عنيفة عقب انخضاع ملكية تيودور الكنيسة لسلطتها . . ففى المسائل الدينية والسياسية وضعت الحكومة من القيود والاغلال وفرضت من العقوبات والقصاص مالا يقل صرامة عما حطمته منها ، فلم يكن مباحا للكاثوليك ولا المتصوفة أن يعبدوا الله كل بحسب معتقده ، ولم يكن يسمح بقيام المعارضة فى المسائل السياسية كما أنه لم يكن أحد يستطيع أن يوجه نقدا ضد الحكومة حتى أن ذلك الوطنى المخلص جون ستبز John Stubbs عندما أخرج رسالة ينصح بها الملكة ألا تقترن بالامير الفرنسى « النسون » وقطع

السياف يده اليمنى رفع ذراعه الأجدع يقطر دما وصاح « لتحى الملكة . . . على أن قوة التاج لم تكن تعتمد على القوة بل على تأييد الشعب . ذلك أن الناس كانوا راغبين فى أن يستمر التاج مزاولا تلك الاجراءات التعسفية حبا فى المصلحة العامة » (ص ٣٦٥ و ٣٦٦ من كتاب « تاريخ انجلترا »)

ولقد كان وليم شكسبير واحدا من أولئك الذين أيدوا التاج وعضدوه ، ولقد وجدت قاعدة السيادة . وضرورة التدرج فى المراتب ، ونعم النظام والتأديب - وجدت فى شكسبير أكبر مدافع عنها ، وأفصح معبر عن وجوب قيامها

وليست أنشودته التى يترنم فيها بمحاسن « النظام » بأقل بهجة ورواء من ترنيمته عن « الرحمة » التى سنح لنا الحديث بإيرادها فيما سلف ، وهاك أنشودة « النظام » :

« إن السماوات ذاتها ، والكواكب . وهذا العالم الارضى ، تراعى جميعها الترتيب والاولوية والمكان ، والاصرار والسير فى العمل والتناسب والفصول والاشكال والتقاليد . هذه كلها أفضل ما تكون عندما تجىء فى انسجام

« خذ لك مثلا ذلك الكوكب الساطع : الشمس . تراه جالسا على عرشه الفخم تحيط به الكواكب الأخرى الاقل سطوعا ، يفيض عليها بلآلائه فينير ظلمتها ويؤلق حالك ديجورها . ولكن عندما يختلط حبل تلك الكواكب فى ساعة نحس فأى وباء وأية نقمة !! أية مصيبة تقع ! بل أى ثوارت ثورها البحار ، وأية هزة عنيفة ترج الأرض ! ! أى اختلاط فى الريح ! إن العالم بأسره ليختلط فيه الحابل بالنابل لمجرد وقوع خلل فى النظام الذي تسير عليه تلكم الكواكب . « إذا ما انفرط عقد النظام الذى هو السلم لكل غاية سامية . فلاشك أنه لن يستطاع الوصول الى تلك الغاية »

« وكيف يكون حال الجماعات والهيئات ؛ وماذا تفيد المدارس والنقابات ، وكيف يؤمن على التعامل والمبادلات : إذا لم يحط بها النظام وتقوم على أساسه

إنك إذا خلعت قلادة « النظام » عن جيد أى شىء لاصبح مثل الآلة الموسيقية غير الموزونة ، وحينئذ فأى صوت يخرج من تلك الآلة

« خذ « النظام » من بين الارض والماء ، وهب أن الماء ارتفع على الأرض : إذن تصبح تلك الأرض الصلبة عجينة رخوة ، كذلك تصبح القوة سيدة العجز ، فتدفع

الوالد العاق الى ضرب أبيه حتى يموت . وإذا ما أصبح الحق للقوة : لم يبق ثم خطأ ولا صواب (وبين كليهما تقيم العدالة) فيفقدا إسمهما وتضيع العدالة معهما .

« واذا كانت القوة هى كل شىء فى هذا الوجود فالقوة تأتى من الارادة ، والارادة من الشهوة . والشهوة : ذلك الذئب البشرى . اذا ما استحال الى قوة أصبح العالم فريسة الشهوات . ويأكل الناس بعضهم بعضا حتى يأكل الاخير نفسه .

وحب شكسبير للنظام والقصاص يعدل فى نفسه كرهه للفوضى واختلال الاحكام . على أن دفاعه عن النظام فى الصورة الايجابية التى أوردنا ذكرها فى أبياته السالفة لا يبلغ من القوة ما يبلغه دفاعه عنه فى الصورة السلبية حين يحمل على الفوضى فى خلال قصته « الملك هنرى السادس : الجزء الثانى » : ومن المعقول أنك اذا أردت أن تحمل الناس على حب النظام و اعتباره شيئا لازما للحياة أن تبدأ أولا بتعريفهم ما هو عدم النظام (الفوضى) . ويمكننا القول بأن المواقف التى صورناها فيما تقدم من ذلك الشيوعى جاك كيد Jack Cade وأهوال المذابح الفوضوية التى ترتبت على خلل النظام بسببه ـ تكاد تكون تلك القطعة مكتوبة فى هذا العصر . وينبغى أن توضع فى المكان اللائق بها فى دراساتنا التحليلية . حتى ليجب أن نحفظ عن ظهر قلب من الرجال والنساء والاطفال والشيوخ والعمال ورجال الدين على السواء . وها أنذا أقص عليك طرفا منها وأنا على ثقة من أنى سأثير سرورك من لم يسبق له أن اطلع عليها . كما أنى لن أسىء إلى من سبقت لهم قراءتها حين أعيد على اسماعهم قطعة من أرقى ما كتب فى الادب مما قرؤه فى حياتهم

هنرى السادس ملك ضعيف ، ضعيف إلى حد أنه يعاف القوة . يقول عن نفسه « ليس بين الرعية من يشتهي الملك بقدر ما أشتهى أنا أن أكون فى عداد الرعية » (الفصل الرابع) وهذا الضعف الشديد هو الذى يزرع الفتنة ويلهب المطامع ويثير المؤامرات ، لأن ، من لا يعرفون أن يحكموا يجب عليهم الطاعة » . ويرى دوق يورك (عم الملك) أن « نشأته أسمى من نشأة الملك » فيذهب إلى ايرلندا ، يجمع حوله عددا من الانصار ، وفي الوقت نفسه يسعى لاثارة زوبعة فى انجلترا ، فيقع اختياره على قسيس على شاكلته هو « جاك كيد » من « أشفورد » فيبعثه

لدس الدسائس وإثارة الفتنة تحت إسم مستعار هو « جون مورتيمر » الذى مات ولكنما كان « كيد » يشبهه كل الشبه ، في شكله ومشيته وحديثه ، و « كيد » هذا من أصل وضيع ؛ أبوه بناء وأمه مولدة . وكان الناس يطلقون عليه « جاك كيد » بائع الثياب القديمة (روبابكيا) ويزعمون أن زوجته ابنة أفاق وأنها كانت تبيع الاشرطة والسجف ولكنها الآن وقد أصبحت عاجزة عن تحمل مشاق السفر قعدت فى دارها تغسل الثياب للناس . على أنه لم يكن ثمة أحد يستطيع أن ينكر على « جاك كيد » أنه لا يهاب السيف ولا النار ، وأنه شجاع مقدام ، والواجب أن يكون جسورا . لأن التسول إن هو إلا جسارة .

ينجح « جاك كيد » هذا فى عمله ويجمع حوله جيشا من العمال الصباغين والقصابين والنساجين ومن هم على شاكلتهم . وينتحل لنفسه أنه حفيد أسرة مورتيمر و « بلانتجنت » ، ويعد أنصاره بأصلاح الدولة وخفض شوكة الملوك والأمراء والنبلاء ، وبأن يضع مكان هؤلاء نظام الشيوعية ، ويستثير حماس جنوده قائلا لهم : « كونوا شجعانا إذن ، لأن قائدكم شجاع ، وقد أقسم على أن ينفذ الأصلاح المنشود : وحينئذ سوف يكون الخبز سبعة بنرش . الخ . الخ ..

وعندما أصبح ملكا عليكم (لأنى سوف أكون ذلك الملك) ... » فيصيح جنوده « رعي الله جلالتكم ! » ويجيبهم هو « أشكركم أيها المجاهدون الأبرار : سوف لا يكون ثم نقود : ستطعمون جميعكم وتشربون (على حسابى) وذلك على قدم المساواة كيما تحبوا بعضكم كالاخوة وتنزلونى منكم منزلة أميكم » .

ثم يحدث أن يقترح أحد القصابين - واسمه « ديك » - ويوافقه « جاك كيد » على قتل جميع رجال القانون . وكل من يضبط متلبسا بجريمة القراءة والكتابة وعمل العمليات الحسابية ، وإذن فقد أشهرت الحرب أول ما أشهرت على العدالة والتعليم . وبناء على ذلك يقبض على كاتب فقير ويسجن ثم يؤتى به أمام جاك كيد فيحاكم ويحكم عليه على الطريقة الآتية :

« س - هل اعتدت أن تكتب اسمك ؟ وهل لديك ما تميز به نفسك كما يفعل الرجل الشريف » .

جـ - اشكر الله ياسيدى على أنى نشأت نشأة حسنة وأنى استطيع أن أكتب اسمى

الجميع : ها هو قد اعترف ، خذوه وغلوه ، ويح الشرير ! ويح الخائن !

ويقول كيد : نعم ، نعم ، خذوه ! اقول لكم خذوه وعلقوه فى المشنقة ، وقلبه وذواته حول رقبته ،

فى ذلك الوقت تتقدم قوات الملك يقودها الضابطان « همفرى » و « وليم ستفورد » : ويبذل هذان الضابطان كل جهد لاقناع الشعب الثائر ليعود إلى الاخلاص والولاء للعرش ولكنهما يفشلان فلا يجدان بدا من محاربة الثوار فيعودان ليستعدا للقتال

ولا يضيع جاك كيد الوقت سدى فيقبل على اتباعه والأنصار ويخطبهم قائلا « أنتم يامن تحبون الشعب اتبعونى . هيا فاظهروا أنفسكم الآن رجالا فى سبيل الحرية : يجب أن لا يفلت من بين أيدينا أى واحد من اللوردات أو النبلاء . لاتبقوا على أحد إلا من صار فى صفوفكم ... أولئك الأشراف المترفون يودون لو كانوا فى مكانكم ولكنهم لا يجرءون »

ويجرؤ « ديك » القصاب حينئذ على مقاطعة قائده إذ يرى قوات الملك تتقدم نحوهم فيصيح قائلا « أنهم يتقدمون لمهجوم علينا فى نظام محكم » فيجيبه كيد فى وثوق الشجاع المقدام المعتد بنفسه « انا أفضل ما تكون نظاما حين نسير بغير نظام ... هيا يارجال سيروا إلى الأمام ! ! » (الفصل الرابع)

يتقاتل الفريقان فتنهزم قوات الملك ويذبح كل من « همفري » و « وستفورد » وحينئذ لم تبق أمام « كيد » عقبة تعوقه عن مواصلة السير إلى لندن . غير أن صديقه الأمين « ديك » القصاب يشير عليه من طرف خفى أن يفتح أبواب السجون ويطلق سراح المسجونين فيقترح « كيد » هذا بل يأمر به

وما يكاد القائد الشيوعى يطأ لندن بقدميه حتى يصطف حوله أنصاره فى « كانون ستريت » (شارع المدفع) ويقف هو بينهم خطيبا قائلا : الآن قد اصبح « موريتمر » حاكم هذه المدينة وسيدها ... وها أنذا الآن وأنا واقف فوق هذا الحجر فى ركن من احد شوارعها آمركم وأطلب اليكم ان تعملوا طبقا لرغبتى فتجعلوا هذا اليوم - الذى هو اول أيام حكمى - يوم عيد عام يجرى فيه النبيذ بدل الماء .... وسوف تعتبر خيانة عظمى ابتداء من اليوم ، مناداتى بغير « اللورد موريتمر »

ومن سوء حظ جندى مسكين أنه لم يسمع ذلك الخطاب ، فلما أقبل هذا الجندى التعس بعد الانتهاء من الخطاب ، ليبلغ رسالة الى القائد ناداه صارخا جاك كيد! جاك كيد ،

ـ خذوه بعيدا عنى ! وليعدم حالا !! هكذا نفذ اللورد مورتيمر أمره ، فلم يلبث ذلك المنكود الحظ ان اصبح جثة هامدة

فى هذه اللحظة يتقدم « ديك » القصاب ويقول:

ـ مولاى اللورد : إن جيشا يتجمع فى سمثفيلد

ـ تعال إذن لنذهب الى محاربتهم . ولكن عليك ان تذهب أولا الى كبرى لندن فتشعل فيه النار . واذا استطعت فاحرق البرج كذلك. وانتم يارجالى هيا بنا. اتبعونى .

يتبدد الجيش المتجمع فى سمثفلد ، ويصبح « كيد » تقريبا الحاكم لمدينة لندن فيتقدم اليه ديك القصاب فى خضوع وخشوع إن « لى رجاء اذا سمح سيدى اللورد بإبدائه ، فيجيبه كيد ، لو أنك طلبت منى أن أجعلك لوردا من أجل هذه الكلمة لفعلت ، يقول ديك ، إن كل ما أرجوه هو أن يكون قانون انجلترا من مخارج فيك ، . . . وحينئذ يهمس جون ـ أحد رفاق كيد ـ فى أذن زميله سمث الغزال ، وبئ تلك القوانين التى تصدر من فم ذلك الغر المفتون! إنها ستكون مثل السهم الطائش لا يعرف أين يكون مستقره ، ويجاوبه سمث ، هذا صحيح ياجون. إنها بلا ريب ستكون قوانين تفوح بها نفس كريه ، . . . ويلتفت « كيد » فى هذا الوقت نحو القصاب قائلا ، لقد فكرت فى الامر وأرى أن يكون لك ما أردت فاذهب إذن وأحرق جميع سجلات الدولة . ومن الآن فصاعدا سوف يكون فمى برلمان انجلترا، وحينئذ يقف جون جانبا ويقول ، إذن سوف تكون لدينا تماثيل عضاضة اللهم إلا اذا خلعنا له أسنانه ، ويستأنف « كيد » حديثه ، هكذا ستجري الامور من الآن ،

حقا إن الغاية التى يرمى اليها الشاعر (شكسبير) لا يمكن أن تكون أكثر وضوحا من هذا. لماذا يعرض علينا كل تلك المساخر والمهازل لماذا يمثل لنا ذلك القائد الشيوعى والغوغاء من خلفه فى صورة مجسمة من الجهل والوقاحة والطيش والقسوة أقول لماذا يفعل الشاعر هذا اذا لم يكن يرمى الى الاشادة بمحاسن « النظام » وحفاظ النظام

الدهماء والاوباش شيئان كان يكرههما شكسبير كل الكره ولم تسنح له فرصة فى وصف الشعب كهيئة سياسية ألا صب عليها جام سخطه وأعرب عن عدم استطاعته

الاطمئنان اليها بأى حال وحكمه القاطع على الشعب باعتباره هيئة سياسية هو أن الشعب الذى يعيش كذلك يسير الى الانحلال وتعاوده همجيته وتوحشه ويدب الفساد والدمار بينهما بين ضلوعه وحناياه

وليس تمثيل شكسبير للشعب على هذه الصورة البشعة فى الجزء الثانى من روايته الملك هنرى السادس بأشد ولا أقوى من تمثيله له فى روايتيه الرومانيتين ، يوليوس قيصر ، و « كريولانوس »

وإن ننس لا ننسى ذلك الموقف الذى رفع فيه الشعب « بروتس » Brutus على الاعناق لذبحه قيصر ورده حرية الشعب المسلوب اليه . وقد جعل الشعب يهتف له بأعلى صوته « يحيى بروتس ! يحيى البطل المفدى ! هيا نحمله على الاعناق إلى منزله متوجا بأكاليل النصر والفخار . ولنقم له تمثالا شامخا على عظمته مع أسلافه . لنتوجه قيصرا علينا . إن غير ما كان يتحلى به قيصر من الخلال الحميدة لأقل ما يجعله منا بروتس . . . ولم يلبث إلا قليلا حتى جاء « أنتونى » وألقى خطابته المشهورة الفذة فانقلب ذلك الشعب نفسه رأسا على عقب وأصبح صياحه وهتافه موجهين ضد « بروتس » بعد أن كانا له : « هياجيروا نفسه وتمثاليه تمثيلا . احرقوا داره واهلكوا الحرث والنسل . ثم ثنوا بالمتآمرين على قتل قيصر ! ! » - (المنظر الثانى من الفصل الثالث من رواية يوليوس قيصر)

بيد أنه لو كان عدم التجانس واختلاف الاذواق والاهواء بين جمهور العامة هو عيبها الوحيد لكفى ! وقد كان من سوء حظ سينا Cinna الشاعر أن توافق اسمه مع اسم ذلك الدساس سينا ، فلما التقت به الجماهير الغاضبة الساخطة وأوقفته فى الطريق وسألته اسمه لم يجده قوله لها ، أنا سينا الشاعر أنا سينا الشاعر ولست سينا الدساس ، فلم يأبهوا لكلامه وحكموا عليه بالموت . « لا يهمنا من تكون . ويكفينا ان اسمك سينا . ولا بأس من أن ننتزع اسمك من قلبك . خمسة وخمس . اسمك !! هيا اقتلوه ومزقوه !! » (المنظر الثالث ، الفصل الثالث)

* * *

نحن نعرف أن الأصل الذى أخذ عنه شكسبير تينك الروايتين (يوليوس قيصر

وكريولانوس) ، هو فلوطرخس ، Plutarch كما نعلم أنه نقل عنه نموذجه أى فكرته بكل أمانة على أنه حين خالفه فى بعض التفاصيل البسيطة كان مدفوعا الى ذلك بعامل إظهار نظريته اذ الحقيقة أن الناس أى عامة الشعب تلاقى على يدى فلو طرخس من العطف وحسن الظن أكثر مما يحبوهما به شكسبير لان شكسبير هو الوحيد الذى أصر على نسبه القذارة والخطأ الشنيع الى العمل الذي تقوم به الجماهير

يلقى بروتس هذا السؤال على كاسكا Casca. « هل عرض التاج على قيصر ثلاث مرات حقيقة ؟ » فيجيبه كاسكا « أى والله .... وما يزال يرفضه .. وكانوا فى كل مرة يلحون عليه، وما يلبثون أن يعلوا برفضه حتى تطلق اكفهم القذرة بالتصفيق وتتجاوب أنفاسهم النتنة بالهتاف إلى حد أن « قيصر » نفسه كاد يختنق بل وقد سقط مغشياً عليه .. أما أنا فلم أكن أجسر أن أنفجر بالضحك خشية أن يكون فتح فمى بابا لدخول الهواء الفاسد إلى نفسى » (المنظر الثانى من الفصل الأول - يوليوس قيصر)

ونجده (أى شكسبير)فى قصة « كريولانوس » يلقى ألينا على لسان «مينيوس» Mininios من خطابه على جماعة من مواطنيه قوله : « لأنتم الذين خلقتم هذا الجو الفاسد بنعيقكم حول نفى كريولانوس » (المنظر السادس من الفصل الرابع)

وليس هذا كل ما يفعله شكسبير فى سبيل ابداء آرائه ونظرياته السياسية ، فأنه فى رواية كريولانوس يخالف فلوطرخس إلى حد أنه لا يقتصر على إظهار الجماهير فى صور شتى من معتدين إلى جبناء ومرتكبى جرائم وقطاع طرق ، بل إنه لا يعلق عليها من الأهمية قدر ما يزعمه لها فلوطرخس حيث جعلها هذا فى قصته الدرع الذي يحتمى وراءه رجل تعس أمام مجلس شيوخ تغلبت فيه الشهوات والقسوة ، وكما قال الاستاذ « براندل » Brandle فان شكسبير يعكس الآية حيث يعمل على تنظيف مجلس الشيوخ من كل لطخة سوداء تعيبه ، وفى هذا الموقف الذى يمالىء فيه شكسبير جماعة النبلاء الرومان يفضح نفسه وتبين حقيقة ميوله الارستقراطية

والأغلب انى لا أكون بعيداً كثيراً عن الصواب إذا اخترت اليمين التى أقسمها كريولانوس لأدل بها على منازع شكسبير السياسية قال : « ان خير ما أقسم لكم به وهو شيء إلهى وبشرى فى آن واحد هو ، العهد ، الذى أقضى بانقضائه . فأقسم لكم

بذى القداستين . أنه بينا يزدرى فريق الفريق الآخر بسبب معقول ، فان ذلك الفريق الآخر يتهجم على الفريق الاول ويسبه بغير ماسبب . وإذا ما كان النبل والعصبية والحكمة لا تستطيع البت فى أمر بالايجاب أو بالسلب الا بأمر الجهل أو نهيه فلا ريب أن الحقائق سوف تقبر وتفسح الطريق للباطل الذى لا يقوم على أساس . وهكذا إذا ماحيل بين الفكر والعمل ، أصبح كل عمل سائر إلى غير ما غاية » (المنظر الاول من الفصل الثالث)

* * *

أما وقد ثبت أن شكسبير قد خبر العامة ووجه اليها قوارض الكلم وجدها دون سواها ، فقد بقى علينا أن نبين كيف أن الديمقراطية الحقة بقيت عنده أبدا شيئاً مجهولا . وإلا فكيف نستطيع أن نفسر تلك الشخصية : شخصية بروتس ! ألم يكن بروتس مثلا عالياً للديمقراطية ، محبا مخلصا للشعب وللحرية ألم يكن يفاخر بأقصى ما يمكن أن يفاخر به انسان جدير باسمه حين قال : « ان قلبى ليفعمه الفرح حيث أنى حتى الآن لم أقع فى حياتى كلها الا على كل رجل مخلص لى كل الاخلاص » (المنظر الخامس من الفصل الخامس) وا أسفاه ! كم من الفضيلة والنزاهة والشجاعة وانكار الذات أريق هدراً ! ! لا بل ان ماهو أسوأ من هذا وأدهى أن ترتكب بأسماء هذه الاشياء السامية جريمة تتابعت بعدها مظالم أفظع مما نجحت تلك الجريمة فى القضاء عليه وقت ارتكابها . فى مقطوعة شكسبير لا يعمل بروتس عملا الا وكان خاطئا ، ومهما يكن الدافع له على عمل شريفا ، ومهما يكن صادراً فيه عن أسمى المبادىء ، فانه لم يجن الا الفشل وسفك الدماء والموت والدمار وخراب الديار لنفسه وأهله وعشيرته وأنصاره وبلاده ومما لا ريب فيه أن شكسبير بينا كان يكتب قصته « يوليوس قيصر » كان واضعا نصب عينيه تلك الخاتمة الفاجعة المعدة للسياسى الخيالى السامى (idealistic) والديمقراطى الحالم ، ولو أنه أتيح لشكسبير أن يكتب مصير بروتس فى اللوح المحفوظ لما جعل مقره الاخير فى غير سقر وبئس المقر . .

على أن هناك مقطوعة أخرى مشهورة تبرهن على ضعف أيمان شكسبير بأمكان قيام نظام كامل للحكم وبالتالى عدم أمكان وجود عصر ذهبى ، وذلك فى روايته

العاصفة Tempest حيث يقول جونزالا Gonzala إنه لو كان ملكا على الجزيرة ، لكان كل شيء في الوجود يسير على سنن العدل والحقيقة ، وأنه ، لن يكون ثم أية خيانة ولا غدر ولا سيوف ولا حراب ولا سكاكين ولا مدافع كما لن تكون هناك حاجة إلى أية آلة ، فيكون بكلامه هذا قد أظهر نفسه بمظهر الغر المغفل فحسب وجلب الى نفسه تلك الكلمات القارصة التي أجابه بها الونسو Alonso ، أرجوك أن تقف عند حدك ولا تسمعني صوتك (كلامك) بعد هذا ، (المنظر الأول من الفصل الثاني)

ليس يجهل أحد أن القانون الأساسي Magna Carta هو السياج الهائل الذي يحتمي وراءه الشعب البريطاني ضد أي عمل استبدادي يقوم به التاج (الملك) وأنه ـ القانون الاساسي ـ جدير بأن يطلق عليه إسم الحرية الانجليزية ، فأنت تجد شكسبير يغفل الاشارة الى هذا القانون في فاجعة ، الملك جون ، الذي حصل منه الاشراف ـ وأيدهم في ذلك رجال الدين والشعب ـ على الامتيازات المشهورة ولقد كتب المستر فرنس ـ المؤلف الفذ لموسوعة شكسبير الجديدة A New Variorum Edition of Shakespeare ـ في المقدمة التي وضعها لفاجعة الملك جون يقول ، لقد كانت الاسباب التي حملت شكسبير على أغفال حادثة بهذا القدر من الاهمية التاريخية (قانون انجلترا الاساسي) مدعاة لطائفة متباينة من الحدس والنقد ، ومن رأي المستر فرنس أن الشاعر لم يغفل تلك الحادثة إلا لانه أنما أتخذ عمدته في جمع مواد قصته مقطوعة قديمة عنوانها ، عصر حكم جون ملك انجلترا المفعم بالمتاعب ، لكاتب مجهول كان كل همه من هذه المقطوعة أن يجعل سامعيه يكرهون أعمال البابا . وقد وجد ذلك الكاتب أن حادثة القانون الاساسي Magna Carta خارجة عن قصده السياسي ولم تكن ثمة حاجة فنية لادماجها ضمن مقطوعته . وزاد المستر فرنس على ذلك قوله ، وأي شيء أقرب الى الطبيعة إذن من أن ما ألقاه سلفه جانبا باعتباره زائدا عن الحاجة يهمله شكسبير على هذا الاساس كذلك ؟ ، ولكني لا أستطيع أن أقر المستر فرنس على رأيه هذا لاننا رأينا كيف استطاع شكسبير أن يحل نفسه من قيود الرواية التي رواها فلوطرخس في قصتي يوليوس قيصر وكريولانوس مع أن تلك الرواية كانت عمدته فيهما ، فقد كان مستقلا وصادرا عن رأي شخصي حينما وصف الشعب الروماني وحكامه فاستفز نفورنا منه واستهزاءنا به . وجدير بنا أن

تكون على ثقة من أنه لو كان قد دلف إلى نفس شكسبير أن ذلك القانون الاساسى ذا أهمية سياسية عظمى لكان أفرد له موقفا من مواقفه الرائعة المهيبة بالرغم من سكوت ذلك المؤلف المجهول عنه واهماله أياه فى قصته « الحكم المفهم بالمتاعب » ، بل إن هذا الاغفال ذاته من المؤلف المجهول كان حقيقا أن يثير شكسبير لذكره . وانما كان خلو قصة الملك جون من اى ذكر للقانون الأساسى لسبب ورد فى سياق تعليق المستر فرانس نفسه عليها حين قال : « من المشكوك فيه كثيرا أن القانون الأساسى كان ينظر اليه فى عصر اليصابات (الملكة) بعين الاحترام ، بل من المؤكد أن الشعب فى ذلك العصر كان يفضل أن يتولى شؤونه ملك غير مقيد بشروط أو عوائق ويحكمه محرراً بغير رجوع إلى قواعد الكنيسة والدولة » ولم يجعل شكسبير استثناء لتلك القاعدة مطلقا . وكان بغير ما تردد يؤيد بكل قواه سياسة اليصابات الدينية . وقد وجدت فيه الملكية حليفاً مخلصاً صادقاً أمينا حتى ليظهر أثره واضحا جليا فى كل أعماله . وما علينا إلا أن نفتح أية صفحة من صفحات كتبه العديدة لنقتبس الشواهد والادلة على هذا الميل فيه : ولنذكر هنا على سبيل المثال كلمات الملك هنرى الخامس ، معبود شكسبير : « إلى الملك ! — حياتنا ، ونفوسنا ، وما فى أعناقنا ، وزوجاتنا الوفيات ، وأولادنا ، وخطايانا .. كل هذه تكل أمورها إلى الملك ! يجب علينا جميعا أن نرفعه ونؤيده .. إذ أى قلب يخفق طلبا للراحة والهدوء ، ويستطيع ذلك أن ينساه ! .. إن عبد الرق — وهو عضو فى سلم الدولة — لينعم بهذا ، فاذا لم يكن ذلك الرأس هامة فوق الرءوس . فأية ساعة (نظام) فى يد الملك يحافظ بها على السلم الذى يحمى الفلاح ثمار اهناً ساعاته » (المنظر الاول من الفصل الرابع)

لنذكر كذلك كلمات الأسقف كارليل فى قصة الملك ريتشارد الثانى : « أى فرد من الرعية يستطيع أن يصدر حكما على مليكه ؟ .. أم هل من الممكن أن ذلك الممثل لجلال الله بل قائده وخليفته ونائبه المسيح المتوج ثابت الفرع من قديم يخضع لحكم فرد من أفراد رعيته .. » المنظر الاول من الفصل الرابع)

إن شخص الملك المقدس محوط بسور شبه إلهى يحميه من الحدثان ، حتى ليمكنه أن يأمن جانب الخيانة :

« هنالك ألوهية تحمى الملك ، حتى لتستطيع الخيانة أن تنفث سمومها فى كل ما تصل

إلا الملك ! فلن تنال منه إلا بقدر » (هملت ـ المنظر الخامس فى الفصل الرابع)

ولعلك تقع فى « قصة الشتاء » Winter's Tale على أروع وصف لقتل الملك

« لو أنى وجدت أمثلة لألوف من الناس ممن قتلوا الملوك المسيحيين ، وانتعشوا بعد فعلتهم . لما أقدمت على ذلك. أما وليس النحاس ولا الحجر ولا الرق (جلد الكتابة) يحمل شيئاً من ذلك : فلنقص الدلالة على نفسها (المنظر الثانى من الفصل الاول)

وفى قصة الملك هنرى الثامن ـ وهى آخر مقطوعة كتبها شكسبير ـ تجد قطعة تظهره (أى شكسبير) متشبعا بالميول الاستعمارية ـ وهذا بزعم أنا نفهم من الميول الاستعمارية أنها رغبة شريفة للوطنى الصادق ليرى وطنه ينشر نفوذه وعظمته فوق العالم .فلقد اختتم كرانمر Crammer نبوءته بشأن حكم الملك جيمس الاول James I بهذه الكلمات الصريحة :« أيتها نفس شمس السماء الساطعة . سوف يذكر اسمه مقروناً بالاجلال والتمجيد . ويخلق أمما جديدة . ولسوف يزدهر هذا الملك . وتعرش فروع شجرته العالية الشامخة مثلما تعرش الشجرة الذكية فوق الجبل على التلال المجاورة له : ـ ولسوف يشاهد ذلك أحفادنا فيباركون تلك السماء ، (المنظر الخامس من الفصل الخامس)

إن نزعة شكسبير الارستقراطية الفكية لم تكن قط نزعة الرجل المتطرف . والحق أنه لو لم يكن فى العالم غير رجل واحد يحب البساطة والصراحة ولا يميل قاطبة الى الاشكال الرسمية (الرسميات) ومظاهر الابهة واللف والدوران فى المعاملات لكان ذلك الرجل هو وليم شكسبير . يتساءل الملك هنرى الخامس متعجبا ، أيتها الطقوس والرسوم والشعائر : ماقيمتك ! هل أنت إلا مظاهر وأشكال لأثارة الرهبة والفزع فى النفوس أليس المرهون الجانب بسبب وجودك أقل سعادة من أولئك الواقعين تحت رهبتك وما هو غذاؤك أليس سماً زعافا من المداهنة والملق بدلا من رحيق عذب من الشعور الخالص من شوائب الخوف ،

وعندك إيموجن Imogen التى يعيبك البحث عن امرأة أجمل منها فى جميع مقطوعات شكسبير، وهى إلى ذلك تحسد بنات وأبناء الوضعاء ، لأنهم بمولدهم هذا قد تحللوا من جميع القيود والفروض اللازمة حتما لابناء النبلاء ، وهم بناء على ذلك يستطيعون أن يفعلوا مايشاؤون: وهى تقول فى هذا : «ليتنى كنت ابنة راع وحبيبى ليوناتس Leonatus

جارنا ابن راع كذلك ! (المنظر الثانى من الفصل الأول) .

وليس يستدل على كره شكسبير للحياة فى الأوساط الاسمية وحبه لها مقرونة بالعزلة فى الريف من متطوعاته فقط . بل إن الدليل المادى على ذلك هو أنه ما كاد يصل الى درجة ما من الثراء حتى ودع مدينة لندن قافلا الى موطنه فى ستراتفورد . وهناك لم يكن من شىء أحب اليه من وصل . وغن . وقص الأقاصيص القديمة . واستمتع بالفراشة الذهبية . انصت الى الاشقياء التعسين يروون لك أحاديث الروقة الثلاثة . وتحدث اليهم كذلك . من ذا يربح ومن ذا يخسر . ومن ذا يصيب ومن ذا يخطىء . ومن ذا يضحك نفسه الاحاطة بجميع الاسرار حتى كأنما هو جاسوس الله . وانظر كيف يلبسون لكل حالة لبوسها . يغيرون و يبدلون ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (الملك لير : المنظر الثالث من الفصل الخامس)

أضف إلى هذا أن شكسبير لم يسع مطلقا ولم يحصل على شىء من الرتب أو النياشين أو أية اشارة من اشارات الشرف ولم يسمح قط لرأسه المثقف أن ينحنى لتوضع فوقه أية علامة من « علامات الغش والخداع » . كما كان فى خلقه على نقيض مع يكون Bacon الذى أباح خيانة الصداقة والحق فى سبيل القوة و المال

و بقدر ما يظهر على الرجل شكسبير من نبل وصفاء نفس . أو كما يسميه بن جونسون Ben Jonson « الامين . ذو الخلق الصريح الحر » بقدر ما تكون آراؤه السياسية جديرة منا بالتقدير و الاحترام والتأمل العميق لا سيما وهو لم يعتنقها لأية غاية شخصية أو مطمح و إن هى إلا تعبير صادر عن اقتناع تام و شعور مخلص نتيجة اختبار عميق لحاجات البشر

إن آراء شكسبير السياسية سداها العقل الراجح و لحمتها الوطنية الصحيحة والوطنية الصحيحة هى خير دستور للرجل السياسى سواء أ فى الماضى أم فى الحاضر أم فى المستقبل. ولقد كانت الآمال والاماني أبدا اسوأ ما منيت به الامم ؟

أحمد مختار